المحاضرة الخامسة:الاتجاه النفسي الرواية العربية.

تمهيد:

قبل الحربين العالميتين الأولى والثانية وتحديدًا ما بين سنة1918 و 1945، لم يكن الاهتمام بالجانب النفسي للإنسان محطّ عناية أو تساؤل أو دراسة، لكن الدّمار الشامل الذي خلفته الحرب العالمية الثانية قد ترك آثارا نفسية فظيعة على الإنسان في الوقت الذي كان التوجه العام للطب التقليدي منصبًا على ربط كل الأمراض الإنسانية بالجانب العضوي فقط إلى أن أثبت العلم أن الحالة النفسية للفرد قد تكون سببًا واضحًا في ظهور أمراض عضوية وأن تأثير مشاهد القتل والدماء والجثث المترامية أشلاء قد خلف أم راضا وعقدًا نفسية غيرت من المنظومة العلاجية للإنسان وأسهمت في تحول مسار الطب عمومًا من الانحصار في الطب الكلاسيكي إلى الانفتاح على الطب المعاصر الذي صار يولي أهمية كبيرة للجانب النفسي وهو ما أثر بشكل واضح في الإبداع والفن عمومًا وفي الكتابة الشعرية والروائية بشكل خاص ونتج عنه ما عُرفَ بالرواية النفسية.

1-الاتجاه النفسي عند الغرب:

1-1-سيغموند فرويد من الغرائز المكبوتة إلى الإبداع الفني:

يرى سيغموند فرويد أن سلوك الإنسان توجهه طاقة جنسية سماها الليبيدو وهذا ما دفعه إلى الولوج في عالم الفن، فكان من الأوائل الذين رسخوا بالنظرية والتطبيق علاقة علم النفس بالأدب والفن، ويرى أن الفنان إنسان انطوائي يقارب العصابي رغباته غير المرتوية تقوي حياته الخيالية، ولكن الفن يعرض له طريق عودة من الخيال الى الواقع.

وتعتمد مقاربة فرويد التحليلية النفسية للأدب على العديد من المفاهيم الخاصة: الكبت، التسامي، التبرير، القلب، النكوص، التناقض الوجداني، ومن خلال هذه الآليات الدفاعية ناقش العديد من النصوص الأدبية مثل تحليله لشخصية الروائي دوستويفسكي في رواية الإخوة كرامازوف التي تدور أحداثها حول جريمة قتل الأب، وقد وجد أن هذه الشخصية تحمل كل المتناقضات: الفنان، المبدع، العصابي، رجل الأخلاق، الخاطئ، المهووس

بتعذيب نفسه وتعذيب الآخرين ورأى أن هذه الرواية ما هي إلا صدى لشخصية دوستوفسكي وانفعالاته اللاشعورية.

1-2-ألفريد أدلر والشعور بالنقص:

خالف أدلر أستاذه في فكرة أن تكون الغرائز الجنسية السبب الوحيد لظهور الأمراض العصابية والباعث الأول للفن، ورأى أن الشعور بالنقص هو السبب الرئيس في نشأة العصاب وأما الدافع الأساسي للفن هو غريزة حب الظهور والسيطرة والتملك كما اهتم بالجانب الاجتماعي فلا بد من ربط عالم الشخصية الباطني بالعلاقات الاجتماعية أي أن الصحة النفسية تتحقق من خلال التعاون والمساهمة الاجتماعية، والإنسان عنده ليس محكوم بالغريزة الجنسية اللاشعورية، بل مخلوق هدفه التفوق والتغلب على شعوره بالنقص.

1-3-كوستاف يونغ واللاشعور الجمعي:

يرى يونغ أن في أعماق مناطق اللاشعور تكمن صورة يشترك فيها الجنس البشري وهي في أصلها ترجع إلى أقدم عهود الإنسانية الأولى يسميها النماذج العليا وهي مصدر الخيالات والصور الخاصة بالجن والسحرة والأرواح وهي صور تغذي الشعر والفن، ومن ابرز مساهماته اللاشعور الجمعي ويرى أن الفن يساعد الإنسان على تحقيق التكامل النفسي وتحقيق الذات وعندما يبدع الفنان فانه يعبر عن مشاعره، يتواصل مع رموز اللاوعي الجمعي ويصل إلى فهم أعمق لنفسه والعالم.

2-علاقة علم النفس بالأدب:

يعرف سيد قطب العمل الأدبي بأنه تعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية وهو تعريف جامع لوظيفة الأدب بين الصدق الوجداني النفسي والجمال الفني فهو يربط بين الذاتية والتعبير من جهة والخيال واللغة الموحية من جهة أخرى وهو ينسجم مع المفهوم الحديث للأدب بوصفه فعلا إبداعيا يعبر عن الإنسان في أعمق تجلياته الشعورية والفكرية.

يقول عز الدين إسماعيل أن النفس تصنع الأدب كما يصنع الأدب النفس وهذا القول يعبر عن رؤية تكاملية ترى في الأدب فعلا إنسانيا متبادلا التأثير بين الذات والنص فالإبداع ليس إفرازا شعوريا فحسب بل هو أيضا أداة لتكوين الوعي وصقل التجربة الإنسانية ومن ثم

فالأدب ليس مرآة للنفس فحسب بل ورشة لتشكيلها إذ تتجدد الذات عبر الفعل الإبداعي وتتسع خبرتها بالوجود من خلاله.

واهتم كارل يونغ بعلاقة علم النفس بالأدب من خلال نظريته المسماة بعلم نفس الأدب وتوصل إلى أن الشخصيات الروائية هي أكثر العناصر الحكائية تجسيدا للبعد النفسي في الرواية وأطلق عليها مسمى السيكولوجية الأدبية.

4-الاتجاه النفسي عند العرب:

ركزت الدراسات العربية على ثلاثة محاور اعتبرتها أساسية في الدراسات الأدبية النفسية :

أ-دراسة شخصية المبدع-سيكولوجية المبدع-: وذلك من خلال إبداعه، سيرة حياته وكذا السياق النفسي وما يتصل به من علم الأحياء، الوراثة ومن ذلك المازني الذي درس شخصية ابن الرومي والعقاد الذي درس ما يزيد عن 30 شخصية من القديم والحديث منها المتنبي، محمد النويهي الذي درس بشار بن برد، أبو نواس.

ب-دراسة عملية الإبداع-الخلق-: أي تتبع الخطوات وآليات الإبداع عند الأديب إلى أن يتمخض ذلك العمل الفني ومن النقاد الذين مارسوا هذا النوع من النقد، نجد كتاب الإبداع الشعري عند مصطفى سويف، الإبداع الروائي عند مصري حنورة.

ج-دراسة العمل الأدبي: وتعني تحليل الأعمال الأدبية تحليلا نفسيا مثل عز الدين إسماعيل في كتابه التفسير النفسي للأدب وجورج طرابيشي في عقدة أوديب في الرواية العربية.

المراجع:

معاوية محمود :علم النفس العام، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015.

السعيد الورقي: اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، د ط، الإسكندرية، 2014.